لإلغائها ؛ لِما تأصَّل في نفوس جماهير المسلمين من حُبِّها والإقبال عليها ، واعتبارِها مظهراً محبَّباً من مظاهر التَّديُّن الخالص .

البَديعِيّات :

ونأتي في النِّهاية إلى فنٍّ متفرِّع من هذه الشَّجرة الوارِفَة : شجرة المدائح النَّبويَّة ، وهو فنٌّ يُوَظِّفُ المديح النَّبويَّ لخدمة عِلْم من علوم العربيَّة ، هو علم البَديع .

وأوَّل من ألَّف في هذا الفنِّ هو علي بن عثمان الإرْبِليّ (ت ٦٧٠) ، وهو شاعر مصريّ نظَم قصيدة لاميَّة جعل في كلِّ بيت منها لوناً من ألوان البديع ، غير أنها لا تُعَدُّ مِمّا نحن بصدَده ؛ إذ إنها ليست في المديح النَّبويِّ.[١]

فالبداية الحقيقيَّة لهذا الفنِّ هي قصيدة صَفِيِّ الدين الحِلِّي (ت ٧٥٠) التي عارض بها البوصيري ، وتقع في ١٤٥ بيتاً ، في كلٍّ منها مُحَسِّن أو أكثر من مُحَسِّنات البديع ، ومطلع هذه القصيدة :[٢]

إنْ جِئْتَ سَلْعًا فَسَلْ عَنْ جِيرَةِ العَلَم واقْرَ السَّلامَ على عُرْبٍ بذِي سَلَم

وقد قَدَّم لقصيدته بكلمة يقول فيها إنه رأى رسالةً في منامه من النَّبيِّ ﷺ يتقاضاه المدحَ ويَعِدُه الشِّفاءَ من مرض ألَمَّ به ؛ فعزم على تأليف هذه القصيدة جامِعاً فيها أشتاتَ البديع ، وسمّاها « الكافِيَة البديعيَّة في المدائح النَّبويَّة » . ويقول الحِلِّي في تقديم القصيدة مفتخِراً بعمله : « وألزمتُ نفسي في نظمها عدمَ التَّكَلُّف وترك التَّعسُّف ، والجري على ما أخذتْ به نفسي من رِقَّةِ اللَّفظ وسهولته وقوَّة المعنى وصحَّته .»[٣]

على أننا حينما نتأمَّل القصيدة يتبيَّن لنا أن الصَّفيَّ الحِلِّي كان مُسْرِفًا في

---

(١) انظر ترجمة له ومقتطفات من قصيدته ، في فَوات الوَفَيات لابن شاكر الكُتُبي ، ج ٣ ، ص ٣٩-٤٢.

(٢) ديوان صفي الدين الحِلِّي ، ط النجف ١٩٥٦ ، ص ٤٧٤-٤٨٨ .

(٣) الديوان ، ص ٤٧٥ .